

## تمثلات معلمي الطور الابتدائي للتكوين في ظل الإصلاح التربوي الجديد (دراسة ميدانية ببعض مؤسسات التعليم بمعسكر)

أ. بن يمينة رقية-جامعة معسكر  
أ.جير الزهرة-جامعة معسكر

تعتبر عملية تكوين المعلمين إحدى أهم مخططات الإصلاح التربوي الجديد، بل وبمثابة عموده الفقري، إذ أن المعلم هو التيار الواصل بين مشروع التجديد والتلميذ، فكيف لنا أن نتركه دون تغيير، كالذي يشتري أثاثا جديدا ليدخله في بيت عتيق، وبالتالي فجمالية الأثاث لن تظهر إلا إذا استصلحنا البيت.

انطلاقا من هنا، وبعد إصلاح 2003، حاولت وزارة التربية والتعليم تبني نمطا جديدا في التعليم، ألا وهو المقاربة بالكفاءات، كاختيار استراتيجي، يبقى فيه المعلم مشرفا وموجها للعملية التعليمية، من خلال تحريك مجموعة من الموارد المعرفية والمهارية والوجدانية للتلميذ وجعلها تسير وفق هدف الوضعية المحدد.

تعتبر هذه المقاربة حديثة النشأة في المدرسة الجزائرية، لهذا حاولت الجهات المختصة تقريب المفهوم إلى أذهان المعلمين، عن طريق بث حملة تكوين وطنية، تسعى من خلالها إلى خلق معلم كفاء متمكن من التعامل مع محاور الإصلاح التربوي الجديد باعتباره حجر الزاوية للعملية التربوية.

لقد بقيت عملية التكوين للمعلمين في الجزائر مجرد شعارات في الكثير من معالمها وهذا ما أدلى به عدد كبير من عناصر العينة، هذا الضعف والنقص قد أرجعه البعض تضاول الإمكانات المادية والزمنية التي توضح الصورة للمعلم فيما يخص هذه المقاربة الجديدة.

إن مصطلح الوضعية الإدماجية قد أثقل كاهل المعلم الجزائري حسب ما وجدناه في الميدان، إذ أنهم إلى يومنا هذا وبعد مرور تقريبا 11 سنة على تطبيق الإصلاح، إلا أنهم يعانون من اغتراب وبنسبة كبيرة إزاء كل ما جاء في الإصلاح باعتبارهم لم يشاركوا في إنجازهم، وبالتالي جعل المعلم يعيش حالة ركود خلال أدائه لعمله التربوي.

لقد أكد جيروأن " التربية هي صناعة ثقافية، والمعلم عامل تنقيفي، مادام أن المنهاج هو منتج لسياسة ثقافية، فهو غير متقف، وبالتالي على المعلم أن يحلل تاريخه الاجتماعي والثقافي ليكتشف النوايا الخفية التي يهدف إليها المنهاج التعليمي" (برترادي، 193، 2001)، هذا إن دل على شيء إنما يدل على أن المعلم عليه أن يتخذ عدة مداخل تعليمية في عمله، من خلال قاعدة مرجعية تعتمد على الوعي التاريخي والاجتماعي للأحداث والحياة بصورة شاملة.

من هنا سنحاول عبر هذه الدراسة التعرف على تمثلات المعلمين لواقع التكوين في ظل الإصلاح التربوي الجديد، انطلاقا من رفع الستار وإزاحة الغبار عن بعض المسائل الغامضة في التكوين ويكمن الرهان هنا في كون الجميع أي عامة الناس يعتقدون الجوانب الايجابية في العملية التكوينية للعلم، مهملين بذلك تمثل المعلم نفسه لهذه العملية، إذ أن النظريات التربوية الحديثة تؤكد على أن نجاح أي عمل تعليمي يعتمد على المتعلم نفسه ومدى قابليته لاستيعاب المعطى.

أهمية وأهداف الدراسة: تكتسي هذه الدراسة " تمثلات المعلم لواقع التكوين في ظل الإصلاح التربوي الجديد" أهمية في كونها تناولت إحدى أهم عناصر العملية التعليمية، إذ لم نقل حجر الأساس الذي تبنى عليه، فلا يمكننا إنكار ما جاء به هذا الإصلاح من تغيير في نفسية المعلم الجزائري، خاصة القدامى، وما زاد الطين بله هو عملية تكوينهم، التي جعلتهم يشعرون كما ذكرنا بالاغتراب وانتهاء صلاحيتهم، ما جعل العديد منهم يفضلون التقاعد، كما تكمن أهمية هذه الدراسة في الرغبة الجامحة

لاكتشاف مضمون التكوين ومدى فعاليته من جانب المعلمين إذ لا يمكن تصور نجاح تكوين لا يؤمن به أصلا المتلقي.

أما عن أهداف الدراسة فهي متمثلة فيما يلي:

- الاقتراب من المعلمين ومعرفة مدى تأثير عملية التكوين على نفسياتهم.
- التعرف على مدى فعالية التكوين وتأثيره على العمل البيداغوجي.
- كثرة النقاش حول الموضوع من طرف العامة، فهدفنا اليوم أن نعطيها الصبغة العلمية.

**منهج الدراسة والتقنية المتبعة:** سنحاول من خلال هذه الدراسة استخدام المنهج الكيفي التحليلي، وذلك حسب موضوع الدراسة، حيث أنه يساعد على وصف الظاهرة، انطلاقا من جمع البيانات والمعلومات وتبويبها وتحليلها، فهو يعتبر الطريقة المنظمة لدراسة حقائق راهنة متعلقة بظاهرة ما وتقديم تحليل دقيق ومعمق حولها، بهدف اكتشاف حقائق جديدة أو التحقق من حقائق موجودة والعلاقات التي تتصل بها وتفسيرها، وكذا كشف الجوانب المختلفة لها والقوانين التي تخضع لها للوصول إلى نتائج التي تساهم في تراكم وتقدم المعرفة الإنسانية.

أما عن تقنية البحث، فقد استخدمنا تقنية المقابلة باعتبارها أقرب لموضوع الدراسة فهي تقنية تربط الباحث بالمبحوث بطريقة مباشرة تستعمل من أجل مساءلة الأفراد سواء بطريقة منعزلة أو جماعية.

**عينة الدراسة:** يعتبر مجتمع البحث "هومجموعة عناصر لها خاصية أو عدة خصائص مشتركة تميزها عن غيرها من العناصر الأخرى والتي يجرى عليها البحث أو التقصي" (موريس أ، 2006، 298).

لقد استخدمنا في هذا الدراسة العينة العشوائية المنتظمة حسب طبيعة الموضوع، وقد شملت 60 مبحوث منهم 50 معلمة و10 معلمين ذكور من مدرستي ميكويي مأمون وبن مصابيح محمد الواقعتين بمدينة معسكر.

## مفاهيم الدراسة:

1- التمثلات: يقابل مصطلح التمثلات باللغة الفرنسية représentations ويقصد بها " إحضار الشيء ومثوله أمام العين أوفي الذهن بواسطة الرسم أوالنحت أواللغة أثناء الكلام" (المنظمة العربية لتربية والثقافة،1991، 1117)، وعليه يمكن القول أن مفهوم التمثلات يعبر عن الكيفية التي يوظف بها الفرد بصورة شخصية معلوماته السابقة إزاء وضعية معينة (هذه الوضعية إنما هي جملة الإصلاحات التربوية التي تقوم بها الوزارة الوصية من أجل رفع وتحسين مستوى الأداء البيداغوجي والمعرفي وكذا السلوكي بالنسبة للمعلمين.

2- المعلم: يعتبر المعلم إنسان مرشد وموجه، وهوالمتخصص الذي يعمل على إيصال المعارف والخبرات التعليمية للمتعلم بحيث أصبح المعلم القناة الرسمية الثانية بعد الأسرة التي تنقل من خلالها ثقافة المجتمع للطفل، فهوذلك "المربي الذي يقوم بتدريب كل أو معظم المواد الدراسية للأطوار الثلاثة الأولى، ويرتكز دوره في تهيئة الظروف التعليمية بهدف متابعة نموه العقلي والبدني والجمالي والحسي والديني والاجتماعي والخلقي" (حسن ش، زينب أ، 2003، 283)، وعليه يمكن القول أن المعلم هو القائم بوظيفة تدريس التلاميذ وفق منظومة تربوية معينة.

3 - التكوين: "هو مجموع الأنشطة والوضيعات البيداغوجية والوسائل الديدانكتيكية التي يكون هدفها إكساب أو تنمية المعارف (معلومات، مهارات ومواقف) من أجل ممارسة مهنة أو عمل...تتمثل في مجموع المعارف النظرية (مفاهيم ومبادئ) والمهارات والمواقف التي تجعل شخصا قادرا على ممارسة شغل أو مهنة أو وظيفة" (زرورق ل، 2003، 36)، وتتمثل مجالات التكوين في عدة جوانب أهمها:

- إعداد وتدريب المعلم من أجل التزود بمهارات معرفية، سلوكية، ثقافية واجتماعية.
- تدريبه بطرائق ناجحة ووسائل متنوعة فعالة.
- بالإضافة إلى إكسابه تقنيات التدريس، التخطيط والتقييم.

إجرائيا يمكن تعريف التكوين على أنه البحث عن استراتيجية ناجعة من أجل دعم المستوى المهني للمدرس في الجوانب الثقافية، التربوية، البيداغوجية والأدائية لتطوير كفاءاته من أجل التنفيذ الفعال لمهامه وترقية نشاطه داخل المؤسسة التربوية وإثارة رغبته في العمل المثمر، كما أنه ابتكار وتجديد في الفكر والأساليب المنهجية والوسائل لتوفير شروط موضوعية ينمو فيها الفكر التربوي ويتطور الأداء اليومي للمعلم.

**الإصلاح التربوي:** يعرفه بيرش على أنه " محاولة فكرية أو عملية لإدخال تحسينات على الوضع الراهن للنظام التعليمي سواء كان ذلك متعلقا بالبنية المدرسية أو التنظيم والإدارة، وأحتى طرائق التدريس " (البدوي، دون سنة، 349)، وعليه فهو يعبر عن كونه دليل الحركية الاجتماعية والوعي بضرورة التكيف والتكامل مع جملة المستجدات التي تفرض نفسها أمام تحديات العولمة الاقتصادية، الثقافية والتربوية. إجرائيا يمكن القول أن الإصلاح التربوي يقصد به مجموع التدابير والتغييرات التي أدخلت على النظام التربوي الجزائري من حيث المحتويات، الأهداف والمقاربة البيداغوجية وكذا تدابير التقويم.

**المقاربة بالكفاءات:** من بين المستجدات البيداغوجية في المناهج الجزائرية الجديدة اعتماد المقاربة بالكفاءات كمنهجية لتنفيذ البرامج وكأساس لتحقيق الأهداف المرجوة، وعليه يمكننا القول أن مصطلح المقاربة بالكفاءات يعبر عن عملية تنظيم برامج التكوين انطلاقا من الكفاءات الواجب اكتسابها والتي يمكن أن تكون قابلة للملاحظة والتقويم وفقا لمقاييس محددة مسبقا، كما أنها " طريقة في إعداد الدروس والبرامج التعليمية وذلك من خلال:

- التحليل الدقيق للوضيعات التي يتواجد فيها المتعلمون أو التي سوف يتواجدون فيها.
- تحديد الكفاءات المطلوبة لأداء المهام وتحمل المسؤوليات الناتجة عنها.

- ترجمة هذه الكفاءات إلى أهداف وأنشطة تعليمية" (حديدان ص، معدن ش، دون سنة، 203).

### محاور التكوين ومدى ارتباطها بالواقع العملي من وجهة نظر المعلمين:

تعتبر عملية تكوين، إعداد وتدريب المعلمين في شتى أطوار التعليم (الابتدائي، المتوسط والثانوي) إحدى أهم المشاريع الإصلاحية التي ركزت عليها وزارة التربية والتعليم الجزائرية، باعتبار أن المعلم هو الركن الأساسي والأساسية التي تساهم في تحقيق الأهداف التربوية والتعليمية كونه يحتل مكانة في النظام التعليمي كما وبعدّ عنصرا فعّالا وفاعلا في تحقيق مختلف الأهداف التربوية، و حجر الزاوية في عملية الإصلاح والتطوير التربوي.

إلا أن مكانة المعلم الجزائري اليوم ليست هي نفسها مكانته سابقا، حيث أن تغير الأوضاع والظروف الاجتماعية والأمنية للمجتمع الجزائري أثرت على عناصر العملية التربوية، كون أن القطاع التربوي يستوجب استراتيجية دقيقة ومشروع نهضوي تربوي بالدرجة الأولى يهدف في الأساس إلى التكفل بمشكلاته، ففي هذا الصدد قال عبد الحميد ابن باديس " لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماءهم، فإن العلماء بمثابة القلب إذا صلح صلح الجسم كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، وصلاح المسلمين إنما يصل إليهم عن طريق علمائهم" (مصطفى ع. 1991، 12) وفي مقام آخر قال كوير " إذا أحببت أن تعرف ثقافة بلد من البلاد، فانظر إلى مدارسها" (مصطفى ز، 1981، 25).

إن دور النظام التربوي بمختلف هيئاته هو السبيل الوحيد لنهضة المجتمع ورقية، كما أن دور المعلم فاق كل الأدوار، من هنا جاءت أهمية ردّ الاعتبار لمهنة التعليم والتركيز على المعلم من خلال التكفل بمشكلاته ومعاناته، خصوصا وأن مكانته اليوم أسوأ حالا وحظا من الأمس بالرغم من التطور التكنولوجي والمعرفي الضخم، وذلك راجع بالدرجة الأولى إلى الأزمة أو الأزمات إن صح القول

التي عرفتها الجزائر على الصعيد الاقتصادي، الاجتماعي، النفسي وحتى على صعيد الاستراتيجية التربوية المنتهجة من طرف الدولة، لأن " خيارات السياسة التربوية المتمثلة في نموذج المدرسة الأساسية كأساس لإصلاح تربوي شامل، والتي وجهت لها اهتمامات بليغة كونها لم تحقق مسيرتها منذ تأسيسها سنة 1980 كل الأهداف المسطرة لها، ولم توفر تعليما حسنا فضلا عن كونها منعدجا لوضعية المعلم والتي كانت سببا في الوضعية المزرية التي يعاني منها اليوم، وبالتالي تدهور العملية التربوية التي يشرف عليها، ذلك أنها اتخذت من التلاميذ غاية للعملية التربوية واهتمت بكل العوامل المساعدة على العملية التعليمية ما عدا المعلم الذي ننظر إليه على أنه وسيلة لتحقيق الغاية السابقة فقط، اتخذت من ذلك شعارا لها " تهمننا مصلحة التلميذ أولا وأخيرا" وبعبارة أدق المعلم استثمار معرفي لا غير" (زرهوني ط، 1994، 57) يتضح جليا من خلال هذا النص أن الدولة الجزائرية أغفلت العنصر الأساسي والمهم في العملية التعليمية، أو يمكن القول أنها أخذت بالمعادلة التعليمية (معلم + متعلم + منهاج = نجاح المنظومة التربوية) ففي هذا الصدد يمكن تطبيق المعادلة الحضارية لمالك بن نبي (إنسان + تراب + زمن = حضارة) فالعنصر الأساسي والفعال والمحرك الأول للحضارة هو الإنسان، إذن فالمعلم والمتعلم يشكلان قلب العملية التربوية والتعليمية، وبذلك فالعلاقة بينهما هي مركز العملية التربوية كما أن مشروع تكوين المربين والمعلمين حتمية ضرورية تتطلبها التنمية التربوية لبلادنا.

ولكن إلى أي مدى يمكن للمعلمين الاستفادة من عملية التكوين؟ أوبصيغة أخرى ما مدى ارتباط المحاور الأساسية لتكوين معلمي الطور الابتدائي بالواقع العملي لديهم؟ يصرح أحد الباحثين " تكوين المعلمين مضيعة للوقت، نحن لا نستفيد شيئا من هذا التكوين" يبدو أن أغلبية الباحثين يرون في هذا التكوين إنقاصا من قيمتهم خاصة وأنهم لا يتعلمون شيئا جديدا يساعدهم في واقعهم العملي وفي علاقاتهم

التربوية سواء مع التلاميذ من خلال فهم سلوكياتهم، استعداداتهم ومتطلباتهم النفسية الاجتماعية والتربوية ومع الإدارة المدرسية، ضمن إستراتيجية المقاربة بالكفاءات التي يجهل الكثير منهم عن حيثياتها العملية والواقعية أثناء الدروس، أين يصرح أغلبية المبحوثين ( 54مبحوثاً) أنهم مدركين لهذه المقاربة من الناحية النظرية، أي أنهم حفظوا عن ظهر قلب معنى المقاربة بالكفاءات وحيثياتها، إلا أن واقعهم اليومي في التدريس يحتم عليهم استمرارية الطريقة التقليدية في التدريس لسهولتها ولتعودهم عليها، فيقول أحد المبحوثين "إن إستراتيجية المقاربة بالكفاءات مفيدة في عملية التعلم ولكن....، هيئات هيئات لو كان الأهل يساعدوننا في العبء التربوي والتعليمي..... لأن المسؤولية مفاة بأكملها على عاتقنا، الأمر الذي يحول دون تطبيقنا لهذه الاستراتيجية والاستمرار في عملية التلقين التقليدية" إذن رغم المحور الرئيسي والبند العريض الذي يوصي بأهمية تطبيق تكوين المعلمين على المقاربة بالكفاءات، إلا أن بعض المعلمين يجدون صعوبة في تطبيق هذه الإستراتيجية من الناحية العملية من جهة، وإلقاء كامل العبء التربوي والتعليمي على عاتق المدرسة والمدرس على السواء (وهذا حديث لموضوع آخر من أجل الوقوف عليه ودراسته)، هنا تأتي أهمية دراسة مقياس علم النفس التربوي الذي يعتبر أحد أهم محاور التكوين، أين يزود المعلم بأهم المهارات، الاستعدادات والقدرات لفهم الحالات النفسية والبيولوجية للمتعلمين ومسايرة تربيتهم بالدرجة الأولى ومن ثم تعليمهم.

ميدانيا وجدنا بعض الاتجاهات الإيجابية لبعض المبحوثين حول تلقينهم لدروس علم النفس التربوي بالرغم من نظرية بعض الوحدات إلا أنهم يملكون بعض الاستعدادات لتلقي بعض المعطيات بغية فهم النواحي السيكلوجية للمتمدرسين وكيفية التعامل النفسي والاجتماعي مع متطلبات الحياة اليومية، تقول إحدى المبحوثات " بصراحة إن محاور ومقاييس التكوين متعبة من ناحية



مواضيعها النظرية من جهة، ومن ناحية طرق تدريس أستاذ المادة..... إلا ما تعلق بمقياس علم النفس التربوي الذي أستفيد منه شخصيا في فهم بعض السلوكات الجديدة علينا اليوم، ومن ثمة فهمها، إدراكها وتقويمها"، فهذا إن دلّ إنما يدل على طبيعة المواد المدرسة من جهة وطبيعة إلقاء الدروس من جهة أخرى، حيث أن أغلبية المبحوثين صرحوا بطرق تلقين الأساتذة لمقاييسهم، حيث تتسم هذه الطرق بالتلقين فقط دون إسقاط هذه المواضيع على أرض الواقع ومقارنتها من مختلف المستويات بغية فهمها ومن ثم الاستفادة منها في الصف الدراسي، والاستفادة من تجارب بعضهم البعض ومواقفهم اليومية وإدراجها ضمن العملية التكوينية من أجل مقارنة الدروس نظريا وعمليا في ميدان التدريس. إلا أن مقياس علم النفس التربوي لاقى قبولا ملحوظا من حيث استجاباتهم ومن حيث حضورهم للصف، وهذا دليل على أهمية علم النفس التربوي للمعلمين على الصعيد الشخصي والمهني على السواء. عند قراءة هذا الموضوع ومقارنته سوسولوجيا، يتضح جليا أن المعلمين في حدّ ذاتهم متشائمين من عملية التكوين هاته في حد ذاتها، خاصة وأن الجهات المعنية ترصد غياباتهم وتحسب عليهم، وبالتالي يصبح هذا التكوين تكوين اضطراري لا اختياري، أما السبب الوحيد الذي يجعلهم في حضور هذا التكوين لا هو تنمية المعارف والمهارات المهنية، النفسية، الاجتماعية، المعرفية والثقافية، ولا هو النهوض بجودة التعليم، بل بالأحرى التماسهم للترقية المهنية والمالية بالدرجة الأولى، خاصة عندما نتحدث عن كبار السن الذين لم يبقى لهم إلا القليل من أجل التقاعد، إلا أنهم دوّبين على الحضور، تقول إحدى المبحوثات "أكثر من 30 سنة خدمة في التعليم، واليوم يريدون منا (إجباريا) الدراسة وحفظ وحدات المقاييس وعمرنا وصحتنا لا تسمح لنا بذلك... رغم ذلك نحاول التعلم واكتساب مهارات جديدة في التدريس" إذن عامل السن هو الآخر مهم في عملية التكوين، لأن الشخص الذي يفوق سنه +50 فإن صحته النفسية، الإدراكية، الجسمية

والمسؤوليات الأسرية تحيلهم دون التركيز في عملية التكوين في حدّ ذاتها، وبالتالي فعلمية التكوين أثناء الخدمة ينبغي إعادة النظر فيها خاصة مع تقدم عامل السن، وفي بنود التكوين في حدّ ذاتها وكيفية تلقين هذه المحاور.

إنّ يمكن القول من خلال الواقع الميداني لتكوين معلمي الطور الابتدائي لولاية معسكر أنّ العملية التكوينية منذ بدايتها والمعتمدة حاليا لا تساهم بنحو إيجابي بدفع زمرة المعلمين إلى الإقبال عليها اختياريا، بل النفور منها نتيجة عدم مسؤولية المعلمين من جهة وهزالة التكوين في حد ذاته من جهة أخرى، ضف إلى ذلك غياب المحفزات المادية، الإدارية والسيكولوجية أدى إلى التأثير السلبي على نمط التكوين وعلى مستوى جودة التربية والتعليم، وبالتالي جودة الإصلاحات التربوية الجزائرية رغم النصوص القانونية والجهود المالية والبشرية المسخّرة من أجل النهوض بالقطاع التربوي وتطويره.

### **التكوين والمعلم بين الالتزام القانوني والفعالية البيداغوجية:**

إنّ العالم اليوم يمر بجملة من التغييرات في شتى المجالات سواء الاقتصادية، الاجتماعية، المعرفية، مما أجبر الدولة الجزائرية على تبني إصلاحات جديدة تحاول من خلالها مواكبة العصر الجديد.

كل هذا جعل من العملية التعليمية نبضا جديدا، خاصة مع ظهور المقاربة بالكفاءات، إذ أنّ المعلم رغم ما تؤكده هذه المقاربة يبقى هوالمركز، وأنّ أيّ تأثيرات بيداغوجية يكون هوالمصدر الأول لها، حيث ينبغي عليه أن يدرك كلّ الرهانات المحيطة بالمدرسة على اختلاف أنواعها سياسية، اقتصادية، بيداغوجية، والأهم منها التكنولوجية التي أصبحت تنافس المعلم، هذا الأخير الذي لم يعد المصدر الوحيد للمعرفة كما في القديم.

بعد هذا التغيير الذي مس الهوية المهنية للمعلم، بات من الصعب أن نتجاهل هذا العنصر البيداغوجي (التكوين)، بل أصبح من الضروري والحتمي أن نولي

اهتماما كبيرا به، وتعددت الدراسات التي تحاول تقديم الأمتل للمعلم، إلا أن الإهمال كان من جانب التصورات المبنية من طرف هذا الفاعل الاجتماعي على العملية التكوينية في ظل نسق تعليمي متجدد.

إذن وفي ظل هذه التحولات، تغيرت طبعاً أدوار المعلم فأصبح في ظل هذه المقاربة منوط ب 12 مهمة، يعتبر التخلي عن إحداها ضرب في الصميم للعملية التعليمية الجديدة وهي كالتالي (حسينة أ، 2012، دون صفحة) :

- مساعدة المتعلم على تحويل المعارف إلى موارد يحسن استغلالها بفعالية.
- الانطلاق في التدريس من مشكلات مطروحة.
- ابتكار عدة ديداكتيكية جديدة.
- التفاوض حول مشاريع المتعلمين وتوجيههم لحل الوضعية الإدماجية.
- اعتماد تصميم ديداكتيكي مرن عند التخطيط.
- اعتماد عقد بيداغوجي جديد مع المتعلم.
- اعتماد التقويم التكويني عند تقويم الكفاءات.
- كسر الحواجز المصطنعة بين المواد والتخصصات.
- إطلاع المتعلمين على المبادئ والمواصفات التي يتطلبها منهم مسعى الإصلاح.
- التوجيه والتحفيز.
- الاعتراف بالأدوار البنائية الجديدة للمتعلم والعمل على تشجيعه عليها (المسؤولية، التعاون).

نظراً لتعدد الأدوار حاولت الوزارة الوصية أن تركز على علاقة المعلمين المتكويين بالوضعيات التربوية المعاشة، وهذا ما حاولنا معرفته من وجهة نظر المعنيين أنفسهم (المعلمين)، إلا أن الإجابة كانت في مجملها عكس ما هو متوقع، إذ أنهم صرحوا بأن هذا التكوين هو عبارة عن التزامات مهنية مفروضة لا غير، ولا علاقة لها بالواقع العملي، خاصة فئة المعلمين الكبار، أما فئة الشباب فتذبذبت آراؤهم

بين الإيجاب والسلب، فقد رأوا أن التكوين يختلف باختلاف نوع المكون، إذ أقرّوا بأن بعض المشرفين على العملية التكوينية هم كفاء وقادرين على إيصال المعلومات إلى أذهانهم، عكس البعض الآخر الذي يعتمد حسبهم على ما وجد من نظريات في الكتب، قد لا تمت في الكثير منها بصلة للواقع التربوي الجزائري .

لقد وضع "جيل فيري" أربع مقاربات نظرية رأى أنها ضرورية لإنجاح عملية التكوين للمعلمين ألا وهي (helenehsner ;1993,14):

- المقاربة الوظيفية التي تحدد أهداف التكوين من خلال تحليل منصب عمل المعلم داخل المدرسة حاضرا.

- المقاربة العلمية والتي تأخذ شرعيتها من مجهودات المعرفة على التربية.

- المقاربة التكنولوجية والمرتبطة بتقدم التقنية.

- مقاربة تطور الممارسات السيكوسوسولوجية التي تربط المعلم بالواقع العملي.

انطلاقا من المقاربات الأربع، حاولنا التقرب من عناصر العينة للتعرف على مدى توافرها في الحصص التكوينية، وقد كان جواب الأغلبية الساحقة منهم بمختلف أجناسهم وأعمارهم على أن هذه العمليات لا تقدم لهم، أوبالأحرى لم يلمسوها أثناء الدرس التكويني، فكل ما يلقى عليهم هو مجموعة دروس مبرمجة يأتي المكون لتلقينها بطريقة تقليدية، حيث أكد البعض منهم على أن هذا المكون لا يقوم سوى بواجب عملي مفروض عليه ليتقاضى أجرا دون مراعاة الفئات المنضمة إلى القسم الدراسي، فالمعلم الشاب مثلا ليس كالذي أمضى عمره في التعليم، هذا الأخير يستدعي عناية نفسية خاصة إذا كان المكون قد تتلمذ على يده، وهذا ما أجمع عليه جملة من المعلمين قائلين: "إن هذا المكون الذي أنا اليوم أتلقى دروسا منه، كان تلميذي في فترة سابقة، فكيف لي وفي هذا العمر، وأنا مقبل على التقاعد أن أتلقى تكويننا منه، ألا يعتبر هذا إنقاصا من شأننا أو إقصاء لنا بطريقة غير مباشرة أومهينة".

هناك ثلاث أنواع من التكوين قد يخضع لها المعلم يتمثل الأول في التكوين الأولي الذي يكون قبل مزاولة الخدمة أي بعد النجاح في مسابقة التوظيف، والثاني أثناء الخدمة أي خلال السنة الدراسية، أما التكوين عن بعد وهذا من خلال الأيام الدراسية أو الملتقيات وغيرها.

إن المعلمين الذين أجرينا معهم المقابلة أبدوا استياءهم من كل أنواع هذا التكوين، واعتبره البعض مضيعة للوقت بل ومفرغ من محتواه، وقد أعجب البعض الآخر بالتكوين الذي يسمح لهم بالتنقل إلى الولايات الكبرى وأخذ قسط من الراحة إذا فتبقى النتيجة واحدة لا فائدة عملية من هذا التكوين، إذ يظهر جليا أن المعلم في الغالب لا يستفيد من هذه الدورات التكوينية، التي قد تكون مفيدة في مجملها إلا أن الخلل يكمن في أن هذا المعلم يعيش حالة من الضغوطات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية المرتبطة بالاعتراب والإحساس بالتهميش.

لقد جاء مشروع آخر ليحدد توجه تكوين المعلمين ألا وهو مشروع "pare"، وهو التكوين الذي يدار وفق المنظور الاندماجي ينطلق من مسلمة مفادها أن أي إصلاح ينبغي أن يؤدي إلى تغيير قابل للملاحظة على أرض الواقع من خلال تنمية أربع مستويات وهي: (ستر الرحمان ن، 2012، دون صفحة)

- ضمان اندماج المدرسين في مسارات التغيير.
- تطوير نظرتهم للعمل الذي يقومون به.
- تنمية مهارات التدريس.
- الارتقاء بالمؤشرات التي تقيس نوعية النظام التربوي.
- لقد تعددت الطرائق التي ينبغي على المكون إتباعها لتحديد احتياجات التكوين ألا وهي (الطعاني ح، 2002، 34):
- تحليل المنظمة: أي دراسة الأوضاع التنظيمية، والأنماط الإدارية لتحديد مواطن الحاجة إلى تدريب داخل التنظيم.

- تحليل العمل: أي معرفة طبيعة وأهمية كل عمل، وأهم الخصائص والشروط التي يجب توافرها فيه.

- تحليل الفرد: أي دراسة حالة للفرد المكون، من خلال القيام بمقارنة بين معارفه السابقة وما هو متوقع منه.

من هنا حاولنا التقرب من بعض الهيئات التي تكون المعلمين، لنعرف مدى التزامهم بهذه الطرائق، انطلاقاً من حضورنا بعض الحصص التكوينية، إلا أن الواقع قد أثبت أن المكون نفسه بعيد تماماً عنها، بحيث لا صلة له مباشرة مع المتكولين، بل هومنون بإلقاء عدد من الدروس لإنهاء البرنامج الذي فرض عليه من الوزارة لا غير، بل وليس لديه الوقت الكافي لبلورة كل هذه الخطوات أو الاحتكاك بالمعلمين.

إذا ومن خلال هذه الدراسة، والنزول إلى الميدان وجدنا بأن واقع التكوين للمعلمين يعاني من جملة من النقائص يمكن إجمالها فيما يلي:

- تأزم المخططات الوطنية المرتبطة بتكوين المعلمين خاصة في يومنا هذا فنجد الجامعة، والمدارس العليا والمعاهد، وكل له طرائق وبرامج خاصة به.

- إلقاء نفس التكوين لجميع المعلمين باختلاف مستوياتهم وقدراتهم العقلية وحتى خبرتهم، فكيف لمعلم مثلاً لم يحصل على شهادة البكالوريا أن نوازيه مع معلم حاصل على شهادة الليسانس أوحى كيف نساوي بين معلم نوخبة تساوي 20 سنة فما فوق بمعلم حديث التوظيف.

- عدم تحديد الأهداف المنوطة من تكوين المعلمين، ماعدا الهدف العام وهو مواكبة الإصلاح الجديد.

- التركيز على الجانب المعرفي أثناء التكوين مع إهمال الجانب النفسي رغم ماله من تأثير على مردودية المعلم.

إن التكوين حسب ما يوجد على المستوى العالمي يحتاج إلى وسائل تكنولوجية متطورة، إلا أنه في الجزائر لازالت الطرق التقليدية هي المسيطرة رغم ما جاء به الإصلاح الجديد من محاور تشيد بالدور الفعال للتكنولوجيا في ترقية التعليم، إذ صرح كل المعلمين تقريبا بأن عملية تكوينهم تتم بطريقة تقليدية، وبالتالي فهي لا تؤدي فعاليتها البيداغوجية والديداكتيكية، حيث أن العديد من المكونين يحاولون حسبهم شرح المقاربة بالكفاءات إلا أنهم أثناء التدريس يعتمدون طريقة التلقين، فالمعلم اليوم تغير دوره من "ناقل للمعرفة من الكتب المدرسية المقررة إلى أذهان المتعلمين، إلى مسؤول عن أدوار عديدة منها دوره كمصدر رئيسي للثقافة العامة والعلمية" (راشد ع، 81، 1996)، إلا أن الواقع يفند هذا الدور بل لا يزال المعلم هو محور العملية التعليمية، والمتعلم هو المتلقي، وهذا راجع إلى الخلل المرتبط بعملية التكوين، غذ أن المعلم لا يزال يرى ضبابية في المفاهيم التربوية الجديدة بل وأنه يحن إلى الأساليب التقليدية ليس لأهميتها بل لقدرته على التعامل معها، حيث أن المقاربة بالكفاءات تستدعي ستة متطلبات وجدنا بأن أغلب المعلمين متمكنين منها أكاديميا أي مجرد حفظ إلي لها وهي كالاتي:

- تحديد الهدف من عملية التعلم.

- تقويم الأنشطة.

- الكفاءة العالية في المعارف البيداغوجية للمعلم.

- دمج المعلومات.

- توظيف المعارف.

إن المعلم يحتاج إلى جملة من المؤهلات باعتباره استثمار فقط، ويبقى التلميذ هو الذي يهم الفئات المسؤولة، هذا ما جعل من المعلم يفقد الثقة في التكوين الذي يتمحور حول ست جوانب أساسية نذكر منها مايلي: (زروق ل، 36، 2003)

- إعداد الفرد لأداء مهمة معينة وهو الهدف الرئيسي، وتحقيق الأهداف المسطرة والمتوخاة.

- تدريبه على مهارات معينة أي محتويات وتطبيقية.

- إمداده بمعطيات خاصة بميدان معين ووسائل العمل.

- تزويده بمعطيات خاصة حول المهمة أو الشغل أو الوظيفة التي سيشغلها وهو المحتوي.

- إكسابه تقنيات التدريس والتخطيط والتقويم.

وفي ختام هذه الورقة البحثية، يمكن القول أن التكوين كان ولا يزال أحد أهم مقومات نجاح الإصلاح التربوي، باعتباره حتمية لا مفر منها لرسكلة المعلمين القدامى تفعيل الجدد منهم، وذلك قصد جعلهم يتكيفون مع التغييرات الجديدة التي مست النظام التربوي برمته هذا من جهة، ومن جهة أخرى أثبت الواقع أن المعلم الجزائري اليوم رغم كل هذه الشعارات التكوينية والحصص التدريسية إلا أنه لا يزال بعيدا عن التطبيق الفعلي، وهذا راجع إلى إهمال تمثلاتهم وآرائهم حول نوعية الإصلاح، وأحتى إشراكهم فيه من خلال إبداء اقتراحاتهم، إذ رأى العديد منهم أن هذا التكوين هو مجرد إلترام وواجب عملي ليس له أي فائدة بيداغوجية ملموسة، خاصة الكبار منها، الذين أحسوا بالاغتراب والإقصاء الاجتماعي بالنظر إلى الطريقة التي يقدم بها، إضافة إلى أن نوع هذا التكوين يعاني من نقص في الجودة، بل وفي غالب الأحيان لا تطبق جل المحاور المتبناة على المستوى الأعلى للوزارة.

أخيرا، علينا أن نقوم بالاهتمام أكثر بالمعلم كأهم فاعل تربوي، كما علينا أن نعتبر أن نجاح أي عمل بيداغوجي مرتبط في الأول والأخير بهذا العنصر الاجتماعي، فإذا كان التكوين ضروري ومهم لإنجاح الإصلاح، علينا أولا أن نتعرف على نوع التكوين الذي يريده هذا المعلم مع مراعاة جملة الشروط الاجتماعية والنفسية والمهنية، والأهم من كل ذلك رغبة المعلمين في تغيير المكونين الذين رأوا فيهم نقصا شديدا في الجانب البيداغوجي العملي.



## قائمة المراجع:

- 1-البديوي أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية،انجليزي،فرنسي،عربي، بيروت، مكتب لبنان، دون سنة.
- 2-الطعاني حسن أحمد،التدريب (مفهومه فعالياته،بناء البرامج التدريبية وتقويمها)، ط1، دار النشر عمان، 2002
- 3-المنظمة العربية للتربية والثقافة، المعجم العربي الأساسي: لاروس،بيروت،1991
- 4-برتراد يكن، النظريات التربوية المعاصرة، ترجمة: بوغلاق محمد، قصر الكتاب، البلدية، 2001.
- 5-حديان،ص، معدن،ش. مدخل إلى تطبيق المقاربة بالكفاءات في ظل الإصلاح التربوي الجديد في الجزائر، أعمال ملتقى التكوين بالكفايات في التربية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، دون سنة .
- 6-حسن شحاتة، زينب النجار، معجم المصطلحات التربوية والنفسية، ط1، الدار المصرية اللبنانية:مصر، 2003.
- 7-حسينة احمد، الأدوار الجديدة للمعلم من منظور المقاربة بالكفاءات، الموقع الالكتروني: <http://revues.univ-setif.dz> تم زيارته يوم 2014/08/15 على الساعة 18:00.
- 8-راشد علي، اختيار المعلم وإعداده، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، 2001.
- 9-زروق لخضر، دليل المصطلح التربوي الوظيفي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003.
- 10-زرهوني، الطاهر، التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال، موفم للنشر: الجزائر، 1994.
- 11-ستر الرحمان نعيمة، التكوين الاندماجي واقع ممارس أم حلم إصلاح، الموقع الالكتروني: <http://revues.univ-setif.dz> تم زيارته يوم 2014/08/15 على الساعة 18:00.
- 12-مصطفى، زيدان، الكفاية الإنتاجية للمدرس، ط1، دار الشروق: مصر، 1981.
- 13-مصطفى، عشوي، المدرسة الجزائرية إلى أين؟ دار الأمة: الجزائر، 1991.
- 14-موريس أنجريس، ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2006.

15- Helenehensher , la recherche en formation des maitres détour ou passage obligatoire vers la professionnalisation, édition crp, universite de sherbrooke, 1993.